

خطبة بعنوان: الوصايا الحسان في كيفية استقبال رمضان

٢٧ شعبان ١٤٣٧ هـ - ٣ يونيو ٢٠١٦ م

عناصر الخطبة:

الوصية الأولى: الدعاء بأن يبلغك الله شهر رمضان

الوصية الثانية: الفرح والابتهاج

الوصية الثالثة: التخلية قبل التحلية

الوصية الرابعة: صحبة الأخيار

الوصية الخامسة: وضع خطة وبرنامج عملي للاستفادة من رمضان

المقدمة:

أما بعد:

عباد الله: يحسن بنا نحن المسلمين أن نستعد لاستقبال رمضان خيراً استقبال . . . فالمسافر يستعد لسفره ، والموظف يستعد بالدورات التدريبية لوظيفته، والشياطين تستعد لهذا الشهر أو توسوس للناس - قبل أن تصفد فيه - بأنواع الملاهي كالأفلام والألعاب الفارغة، ونحن المسلمين ينبغي علينا أن نستعد له أفضل استعداد، فما أسعد من استفاد من رمضان من أول يوم ومن أول لحظة . . . وحتى نفوز بـرمضان يجب علينا أن نستقبله بعدة وصايا هامة نُحملها فيما يلي:

الوصية الأولى: الدعاء بأن يبلغك الله شهر رمضان

فندعو الله أن يبلغنا هذا الشهر الكريم كما كان السلف يفعلون ذلك فقد كانوا يدعون الله ستة أشهر قبل رمضان أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر بعد رمضان أن يتقبل منهم رمضان، وكان يحيى بن أبي كثير يقول: "اللهم سلمنا إلى رمضان، وسلم لنا رمضان، وتسلمه منا متقبلاً". فندعو الله أن يعيننا على أن نحسن استقبال الشهر وأن نحسن العمل فيه، لأنه قد يبلغك رمضان وأنت مصرٌّ على معصيته!! يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله: "إذا دعوت الله أن يبلغك رمضان فلا تنس أن تدعوه أن يبارك لك فيه، فليس الشأن في بلوغه! وإنما الشأن ماذا ستعمل فيه؟!!!" لأنك إذا وُفِّقت فيه لعمل صالح فإنك ستسبق الجميع إلى الجنة حتى الشهيد. فعن أبي هريرة قال: كَانَ رَجُلَانِ مِنْ بِلْيٍّ مِنْ قُضَاعَةَ أَسْلَمَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسْتُشْهِدَ أَحَدُهُمَا وَأُخِّرَ الْآخَرُ سَنَةً. قَالَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ: فَأَرَيْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا الْمُؤَخَّرَ مِنْهُمَا أُدْخِلَ قَبْلَ الشَّهِيدِ فَعَجِبْتُ لِذَلِكَ!! فَأَصْبَحْتُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ وَصَلَّى سِتَّةَ آلَافِ رُكْعَةٍ أَوْ كَذَا وَكَذَا رُكْعَةَ صَلَاةِ السَّنَةِ؟!!" (أحمد والبيهقي وابن ماجه وقال الأرنؤوط: إسناده حسن)، فمع أنهما أسلما في يوم واحد ومات الأول شهيداً، إلا أن تأخير موت الآخر سنة جعله سابقاً للشهيد إلى الجنة لأنه أدرك شهراً من رمضان زيادة على صاحبه وبارك الله له فيه.

وأنا أركز على البركة في العمر واغتنامه في الطاعة، فعن أبي بكر-رضي الله عنه- أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: "مَنْ طَالَ عُمْرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ"، قال: فأبي الناس شر؟ قال: "مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ" (الترمذي وصححه الألباني)

قال الطيبي -رحمه الله-: "إن الأوقات والساعات كرأس المال للتاجر، فينبغي أن يتجر فيما يربح فيه، وكلما كان رأس ماله كثيراً كان الربح أكثر، فمن انتفع بعمره بأن حسن عمله فقد فاز وأفلح، ومن أضاع رأس ماله لم يربح وخسر خسرانا ميبئاً". (تحفة الأحوذى) لذلك يسن إذا بلغت رمضان ورأيت الهلال تقول كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "اللَّهُمَّ أَهْلَهُ عَلَيْنَا بِالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ" [أحمد والطبراني والحاكم؛ وصححه الألباني في الصحيحة]

ويدعو بأن يُوفق المرء فيه للطاعة، ويُبارك له في الوقت، ويُؤخذ بيده لكل بر، فالأمور كلها بيد الله، والتوفيق من عنده، والتأييد من لدنه، فاطرق باب الكرم قبل دخول الشهر وبعد دخوله وفي كل ساعة وعند كل لحظة، انظر بين يديه، واسأله سؤال الصادقين، أن يجعلك في عداد الموفقين، وأن يسلك بك طريق المؤيدين، واعلم أنك تسأل رباً كريماً يحب من يسأله، فإذا كان من يسأل الدنيا يهبه الله إياها، فكيف بمن يسأل ما يحبه الله من الطاعات؟! لا شك أنه أولى بالتأييد وأقرب للإجابة، فكن من الصادقين في الدعاء، وألح على ربك عند السؤال للتوفيق للطاعات. فأكثر من الدعاء: اللهم ارزقنا عمراً مديداً، وقولاً سديداً، وعملاً صالحاً كثيراً، اللهم أجز لنا العطفية، وأصلح لنا النية، وأحينا فيه الحياة المرضية.

الوصية الثانية: الفرح والابتهاج

والفرح برمضان يكون بالطاعة والعبادة والقرآن: { قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ } (يونس: ٥٨) وقد كان سلفنا الصالح من صحابة رسول الله والتابعين لهم بإحسان يهتمون بشهر رمضان، ويفرحون بقدمه، وأي فرح أعظم من الإخبار بقرب رمضان موسم الخيرات، وتنزل الرحمات. وقد صور رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الفرحة بقوله " لِلصَّائِمِ فَرَحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ " (متفق عليه)

وتخيل ضيف عزيز عليك لم تره منذ سنة وجاء إليك فماذا أنت فاعل له؟! فآين الترحيب بالعمل الصالح!!!

فهذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يستعد لرمضان فأنار المساجد بالقناديل، فكان أول من أدخل إنارة المساجد، وأول من جمع الناس على صلاة التراويح في رمضان، فأنارها بالأنوار وبتلاوة القرآن، حتى دعا له الإمام علي - رضي الله عنه - بسبب ذلك. فعن أبي إسحاق الهمداني قال: خرج علي بن أبي طالب في أول ليلة من رمضان والقناديل تزهو وكتاب الله يتلى في المساجد، فقال: " نور الله لك يا ابن الخطاب في قبرك كما نورت مساجد الله بالقرآن".

هذه الفرحة في الدنيا، فضلاً عن فرحة العبد عند الإفطار، أما فرحة الآخرة فحدث ولا حرج، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: " لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي: يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَشْهَدَ أَبِي، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا. قَالَ: أَفَلَا أَبَشَّرْتُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟ قَالَ: قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَخِيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ. قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِيَنِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ. قَالَ: يَا رَبِّ فَأَبْلُغْ مِنْ وَرَائِي " فنزلت هذه الآية: { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (١٧٠) (آل عمران) (الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني)، فهو يريد أن يبلغ جابراً ومن وراءه بالفرحة التي فيها، فبلغ عنه الله وجاء التعبير بقوله (فرحين) وإعرابها: حال منصوبة، فهذا حال كونهم فرحين بالطاعة والجهاد والصيام وغير ذلك، لأن العبد الطائع يفرح بلقاء الله ويحبه ويتمناه، والعاصي بخلافه.

فعن عبادة بن الصامت ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ؛ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ " قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَرْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ! قَالَ: " لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حَضَرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهُ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ. " (متفق عليه)، فالطاعة والعبادة دليل الحب ، والمعاصي والذنوب دليل البغض والكره. قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم يا أبا حازم: كيف القدوم على الله عز وجل؟ فقال: يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يأتي أهله فرحاً مسروراً، وأما المسيء فكالعبد الآبق يأتي مولاه خائفاً محزوناً.

عباد الله: ألا فرحنا بالعبادة والطاعة كما نفرح ونستعد بالطعام والشراب، باع قوم من السلف جارية ، فلما اقترب شهر رمضان، رأتم يتأهبون له، ويستعدون بالأطعمة وغيرها. فسألتهم عن سبب ذلك؟ فقالوا: نتهياً لصيام رمضان. فقالت: وأنتم لا تصومون إلا رمضان! لقد كنت عند قوم كل زمانهم رمضان، ردوني عليهم.

الوصية الثالثة: التخلية قبل التحلية

أحبي في الله: القلوب مملوءة بالسواد والظلمة طوال العام من أثر الذنوب والمعاصي، سب وشتم وغيبة ونميمة ونظر إلى حرام وشرب محرم وغل وحقد وحسد ونفاق وشقاق وسوء أخلاق وأكل حرام وفعل المنكرات.... إلخ وكل ذلك سبب في سواد القلب، فعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِّتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَعْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ وَهُوَ الرَّأُّ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } (الترمذي وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ)، فتخيل كيف حال قلبك بعد أحد عشر شهرا من المعاصي والآثام؟! فيجب أن نخلى القلب ونجليه ونظهره من هذه الآثام والظلمات، قبل أن نخليه بالعبادة والطاعة، فلا يجوز إدخال القرآن والصلاة والذكر على مثل هذه القاذورات، حتى نظهر القلب منها، فهب أنك عندك قطعة أرض فضاء مملوءة قمامة تريد بناءها وتشبيدها، هل ستحليها بالبنيان على ما هي عليه من قمامة أم تطهرها؟! فهكذا القلب يحتاج إلى تخلية قبل التحلية. فلا بد من الإقلاع عن الذنوب التي عشقناها طول العام، انزع نفسك من أوصاف الدنيا التي غرتك في سالف الأيام، اعتق رقبتك من أسر الهوى والآثام، حرر قلبك من سجون المادية الغليظة والأوهام، إذا صلحت بدايتك صلحت نهايتك، ومن صلحت بدايته صلحت نهايته، وإنه إذا أحسن البدء حسن الختام.

ولندم على تقصيرنا في جنب الله، وكم أن الله أمهلنا حتى هذا الوقت لتتوب، وإذا لم تنب الآن فمتى نتوب؟!

حكى أن رجلا دخل مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على حين كان الناس يخرجون منه، فتسائل الرجل: لماذا يخرج الناس قبل أن أصلي؟ فقال له أحد المصلين: قد أقيمت صلاة الجماعة وفرغنا منها، فقال: لقد جئت متأخرا!!! عند ذلك انطلقت من الرجل آهة تمزقت منها روحه، وحملت رائحة من دم قلبه، فقال له رجل: يا أخي هون عليك، هب لي تلك الآهة وصلاتي لك، فقال وهبتها لك وقبلت الصلاة، فلما جاء الليل قال له هاتفي في الرؤيا: لقد اشتريت جوهر الحياة وشفاء الروح، فبحرقه هذه الآهة، وبصدق هذا الندم، قبلت صلاة الناس كافة.

أحبي في الله: إن لزوم الذنوب والمعاصي سبب لحرماننا من الطاعات ولا سيما في رمضان، جاء رجل إلى الحسن البصري - رحمه الله - وقال له يا أبا سعيد: أجهز طهوري وأستعد لقيام الليل ولكني لا أقوم، ما سبب ذلك؟ فقال له الحسن: قيدتك ذنوبك. نعم - الذنوب والمعاصي - سبب للحرمان من كل خير .

كم نرى من التفریط وضياع الوقت وعدم استغلالنا لمواسم الخيرات في رمضان وغيره مع علمنا بفضله، لاشك أن من الأسباب الرئيسية أن ذنوبنا قيدتنا، وحرمتنا هذا الخير .

والأشد والأنكى من يُجرم كثيراً من الطاعات ويكون منغمساً بالمعاصي حتى في شهر رمضان، فلا ينتهي من واحدة إلا تلبس بأخرى في حرمان موجه، وخذلان مفتح . إن من حُرْم خير هذا الشهر فهو المحروم، ومن تُخذل في مواسم البر فهو المخذول . ولا علاج لهذا إلا بالتوبة النصوح قبل بلوغ الشهر .

هل تعلم أن عدد ساعات رمضان سبع مئة وعشرون ساعة لو نمت كل يوم ثمان ساعات - والجاد لا يفعل لعلمه بفضيلة الزمان - لكان بقي لك أربع مئة وثمانين ساعة، أليست فرصة لأن تتزود فيها من الطاعات ما يكون لك خير زاد يوم القدوم على الله؟! فهيا يا أخي ويا أختي لنحرق نار الهوى والمعاصي ولنرجع إلى ربنا الرحيم الذي يقبل توبة عبده إذا تاب إليه وأتاب.

قال الحسن - رحمه الله: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، وأينما كنتم فإنكم لا تدرون متى تنزل المغفرة؟!!

فعلينا أن نفتح صفحة بيضاء مع الرسول صلى الله عليه وسلم بطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر. علينا أن نفتح صفحة بيضاء مع الوالدين والأقارب، والأرحام والزوجة والأولاد بالبر والصلة. علينا أن نفتح صفحة بيضاء مع المجتمع الذي نعيش فيه علينا أن نعمل على سلامة الصدر مع المسلمين قبل رمضان.

روى عن ابن مسعود أنه سئل: كيف كنتم تستقبلون شهر رمضان؟ فقال: ما كان أحدنا يجزؤ أن يستقبل الهلال وفي قلبه مثقال ذرة حقد على أخيه المسلم. اللهم انزع الحقد والحسد من قلوبنا وبلغنا رمضان يا الله.

الوصية الرابعة: صحبة الأخيار

عباد الله: ينبغي على المرء أن يحسن اختيار الصحاب، لأنه يكون على هديه وطريقته ويتأثر به، كما قيل: الصحاب ساحب، حتى لو أردت أن تعرف أخلاق شخص فسأل عن أصحابه.
قال الشاعر:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَسَلِّ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

وقال آخر:

واحذرْ مُصَاحِبَةَ اللَّئِيمِ فَإِنَّهُ يُعْدي كما يُعْدي الصَّحِيحُ الأَجْرُبُ

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ" [السلسلة الصحيحة - الألباني]

قال العلماء: يعني لا تحالل إلا من رضيت دينه وأمانته فإنك إذا خالته قادتك إلى دينه ومذهبه، ولا تغرر بدينك ولا تخاطر بنفسك فتخالل من ليس مرضيا في دينه ومذهبه.

وقد صور النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك فقال: " مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ كَمَثَلِ الْكَلْبِ وَالنَّافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُجْذِيكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً" (متفق عليه) يعني: هو مستفيد على كل حال، إما أن يعطيك، وإما أن يبيع لك، وإما أن يعلق فيك رائحة طيبة، كذلك الجليس الصالح: إما أن يأمرك بالخير، وإما أن ينهك عن الشر، وإما أن يدعوك إلى الخير ويحضك عليه، فأنت مستفيد، كذلك جليس السوء إما أن يزهّدك من الخير أو يرغبك في الشر، فأنت متضرر على كل حال.

حتى أن أثر الصحبة - صالحة أو طالحة - تعدى من عالم الإنسان إلى عالم الكلاب. قال تعالى: { سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ } (الكهف: ٢٢) فقد استفاد الكلب من صحبة الأخيار، وهو الآن معروف أنه من أخس الحيوانات، ومع ذلك لما صاحب الأخيار صار له شأن وذكر معهم في القرآن وأصابه ما أصابهم، كما أن الكلب المعلم لما تعلم صار له ميزة وارتفع شأنه بالعلم، وصار يصيد بالتعليم، وله حكم يختلف عن بقية الكلاب، قال تعالى: { مُكَلِّبِينَ تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ } [المائدة: ٤]، حتى الكلاب إذا تعلمت صار لها شرف ومزية على غيرها.

أحبي في الله: والله إن الصحاب - وخاصة في رمضان - إذا كان صالحاً سيأخذ بيدك إلى الجنة ، وإن كان طالحاً يجرك إلى جهنم جراً، وسأضرب لك مثالين:

الأول: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاءُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغْبِرَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَمَّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرَعْبُ عَنْ مَلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟! فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ أَحْرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مَلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَبِي أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنْهَ عَنْكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } (متفق عليه)

فوجود أبي جهل والصحبة السوء جعلت أبا طالب من أصحاب الجحيم، وحنن عليه النبي حزنا شديدا.

المثال الثاني: عن ابن عباس قال: « كان عقبة بن أبي معيط لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً فدعا إليه أهل مكة كلهم، وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم ويعجبه حديثه، وغلب عليه الشقاء فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاماً ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طعامه فقال: ما أنا بالذي آكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله . فقال : أطمع يا ابن أخي. قال : ما أنا بالذي أفعل حتى تقول . . . فشهد بذلك وطعم من طعامه . فبلغ ذلك أبي بن خلف فأتاه فقال: أصبوت يا عقبة؟ - وكان خليله - فقال: لا والله ما صبوت. ولكن دخل عليَّ رجل فأبى أن يطعم من طعامي إلا أن أشهد له، فاستحييت أن يخرج من بيتي قبل أن يطعم، فشهدت له، فطعم. فقال: ما أنا بالذي أرضى عنك حتى تأتيه فتبصق في وجهه. ففعل عقبة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف، فأسر عقبة يوم بدر فقتل صبوراً ولم يقتل من الأسرى يومئذ غيره . (الدر المنثور ، للسيوطي) وفي ذلك نزل قوله تعالى: { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩) } (الفرقان)، فتحليل أنه فضل رضا صاحب السوء على رضا الله ورسوله وكانت النتيجة جهنم وبئس المصير.

فهذه رسالة أوجهها لأبائي وإخواني وأبنائي وكل فئات المجتمع أن يحسنوا اختيار الصحبة ولا سيما في رمضان لشدة تأثيرها كما ذكر.

الوصية الخامسة: وضع خطة وبرنامج عملي للاستفادة من رمضان

أيها المسلمون: الكثيرون من الناس وللأسف الشديد حتى المنتزمين بهذا الدين يخططون تخطيطاً دقيقاً لأمر الدنيا، ولكن قليلون هم الذين يخططون لأمر الآخرة، وهذا ناتج عن عدم الإدراك لمهمة المؤمن في هذه الحياة، ونسي أو تناسى أن للمسلم فرصاً كثيرة مع الله ومواعيد مهمة لتربية نفسه حتى تثبت على هذا الأمر، ومن أمثلة هذا التخطيط للآخرة، التخطيط لاستغلال رمضان في الطاعات والعبادات، فيضع المسلم له برنامجاً عملياً لاغتنام أيام وليالي رمضان في طاعة الله تعالى. يصلي الأوقات في المسجد جماعة، والترايح بجزء، والمحافظة على صلاة الضحى، والتهجد، وصلية الأرحام، والإنفاق، وزيارة المرضى، وحضور الجنائز ، وغير ذلك ، فتقوم بعمل جدول في كراسة من ثلاثين خانة ولكل يوم تسطر فيه أعماله، ثم توقع عليها وتكتب شرطاً جزائياً: أقر أنا الموقع أدناه أنني لن أقصر في أي بندٍ من البنود سالفة الذكر، وإذا قصرت أتعهد بدفع مبلغ خمسة جنيهات صدقة. حتى الشرط الجزائي يكون طاعة! وهكذا أحبتني في الله لو التزمنا بكل ما سمعناه نكون من الفائزين في رمضان الفرحين في الدنيا والآخرة.

اللهم بلغنا رمضان وبارك لنا فيه..... آمين

كتبه : خادم الدعوة الإسلامية

وأقم الصلاة،،،،،،

د / خالد بدير بدوي